

فيها الاتقياد الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى النفاية في الحياة الآخرة وما هذا النحو من عجائب الرحمة في الهداية والتعليم ؛ وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانساني ذلك النوع هلي ما به وما دخل في تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف في مراتب الاستعداد باختلاف افراده وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو اُهم حاجاته كاتلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيواناً آخر كالنحل والنمل او ملكاً من الملائكة ليس من سكان هذه الارض » اهـ

أناك مكيابريسي

العشق وحرية العرب

دخل يزيد بن معاوية على أبيه أيام حكمه مستأذناً بقتل أبي ذهبل وهب بن زمعة الجُمحيّ لانه أكثر التغزل في اخته عاتكة واشهر بعشقها وسارت بأشعاره الركبان وتغنى بها الناس فقال معاوية وماذا قال ؛ فأشده يزيد ابياتاً من قصيدة أبي ذهبل النونية وهي :

طل ليلى وبث كالمجنون	وملئت الثواء في جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى	ظن أهلى صرجات الظنون
فبكت خشيت التفرق جمل	كبكاء القرين إثر القرين

وهي زهراء مثل لؤلؤة الفؤاد اص ميزت من جوهر مكنون
 واذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون
 فلما انشد هذا البيت وما قبله قال له معاوية في اثر كل واحد منهما
 هي كذلك يا بني ولقد صدق. فلما انشد :

ثم خاصرتها الى القبة الحضراء تمشى في مرمر مسنون
 قال معاوية : كذب في هذه يا بني . وبعد البيت :

قبة من مراحل ضربوها عند برد الشتاء في قيطون
 عن يساري اذا دخلت من البواب وان كنت خارجاً عن يميني
 ولقد قلت اذ تطاول سقى وتقبلت ليلتي في فنون
 ليت شعري أمن هوى طارنومي ام براني الباري قصير الجفون

وهذا البيت من الحسن بالمكان الذي تراه

وعزم معاوية ان يكلم ابا دهبيل في الامر فتربص به حلمه حتى اذا
 كان في يوم جمعة دخل عليه الناس وفيهم ابو دهبيل فقال معاوية لحاجبه
 اذا اراد ابو دهبيل الخروج فامنعه وارده الي وجعل الناس يسلمون
 وينصرفون فقام ابو دهبيل ينصرف فناداه معاوية : يا ابا دهبيل الي فلما
 دنا اليه اجلسه حتى خلا به ثم قال له ما كنت ظننت ان في قریش اشعر
 منك حيث تقول : « ولقد قلت اذ تطاول سقى » الى آخر البيتين -
 غير انك قلت : « وهي زهراء » - البيت والذي بعده - والله ان فتاة
 ابوها معاوية وجدتها ابو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت وأي
 شيء زدت في قدرها ولقد أسأت في قولك : « ثم خاصرتها » - البيت
 فقال والله يا امير المؤمنين ما قلت هذا وانما قيل على لساني . فقال له معاوية : أما

من جهتي فلا خوف عليك لانني أعلم صيانة ابنتي نفسها واعرف ان قئين الشعراء يتركون ان يقولوا النسيب في كل من جاز ان يقولوه فيه وكل من لم يجز وانا اكره لك جوار يزيد واخاف عليك وثباته فان له سورة الشباب وأنفة الملوك . فخذر ابو دهبيل وخرج الى مكة ويقال ان معاوية اراد ذلك لتتقضى المقالة عن ابنته

اما سب عشق ابي دهبيل لعاتكة فقد روي فيه انها لما حجت نزلت من مكة بذى طوى فبينما هي ذات يوم جالسة في وقت الهاجرة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق امرت جوارياها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها وعليها شفوف لها (ثياب رقيقة) تنظر الى الطريق فرأى ابو دهبيل فوقف طويلاً ينظر اليها ويمتع نظره بحاسنها وهي غافلة عنه فلما فطنت له شتمته وامرت بارخاء الستر فقال :

اني دعاني الحين فاقتادني	حتى رأيت الظبي بالباب
يا حسنه اذا سبني مدبراً	مستراً عني بجباب
سحبات من وقفها حسرة	صبت على القلب بأوصاب
يدود عني ان تطلبها	اب لها ليس بوهاب
احلها قصراً منيع الذرى	يحمي بأبواب وحجاب

ثم انشد ابو دهبيل هذه الابيات بعض اخوانه فشاعت بمكة وتناشدها الناس وغنى بها المغنون وسمعتها عاتكة انشاداً وغناء فضحكت واعجبتها وبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام فكان ينزل قريباً منها وكانت تعاهده بالبر والالطف حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقائه في بيت الامارة والملك

ولم يعد يراها فرض مرضاً طويلاً وانشد القصيدة النونية المذكورة آنفاً
ولما عاد الى مكة خوفاً من يزيد كان يكتب عاتكة . وبينما معاوية
ذات يوم في مجلسه اذ جاءه خصي له فقال يا امير المؤمنين لقد سقط الى
عاتكة اليوم كتاب فلما قرأته بكت ثم اخذته فوضعت تحت مصلاها وما
وما زالت خائرة النفس منذ اليوم فقال له اذهب فالطف بها حتى تحتال
على اخذ الكتاب ففعل الخصي واتي بالكتاب واذا فيه :

أعانتك هلاً اذا بخت فلا ترى لدى صبوة زلني اليك ولا يترقى
رددت فتواداً قد تولى به الهوى وسكنت عيناً لا تمل ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى ولم أر يوماً منك جوداً ولا صدقاً
أنسين أيامي بربيعك مدنفاً صريماً بأرض الشام ذا جسد ملقى
وليس صديق يرتضى لوصية وادعو لدائي بالشراب فما اسقى
واكبر همي ان ارى لك مرسلأ فطول نهاري جالس ارقب الطرقات
فواكبدي اذ ليس لي منك مجلس فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رأيتك تزادين للصب غلظة ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا
فلما قرأه معاوية بعث الى ابنه يزيد فأتى ووجده مطرقاً فقال له ما
هذا الأمر ؟ فقال امرٌ اقلقتني وامضني وما ادري ما اعمل في شأنه قال
وما هو ؟ قال هذا الفاسق ابو دهيل كتب بهذه الأبيات الى اختك
عاتكة فلم تزل باكية فما ترى فيه ؟ قال الامر هين عبد من عبيدك يكمن
له في ازقة مكة فيربحنا منه . فقال معاوية : أف لك والله ان تقتل رجلاً
من قريش هذا حاله صدق الناس قوله وجملونا احدوثه ابدأ . فقال يزيد
يا امير المؤمنين انه قال قصيدة أخرى تناشدها اهل مكة وسارت حتى

بلغتني واوجعتني وحملتني على ما اشرت به فقال ما هي فانشد
 ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل وما كان من يلحى محباً له عقل
 لقد كان في حولين حالاً ولم ازور هواي وان خوفت عن حبه اشغل
 حى الملك الجبار عنى لقاءها فمن دونها تخشى المتالف والقتل
 فلا خير في حب يخاف وباله ولا في حبيب لا يكون له وصل
 فواكبدى انى اشهرت بحبها ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
 ويا عجباً انى اكتم حبها وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

فقال معاوية : قد والله رفعت عنى لاني ارى انه يشكو عدم الوصل
 فالخطب فيه يسير قم عنى . فقام يزيد وحج معاوية في تلك السنة ولما انقضت
 ايام الحج كتاب اسماء وجوه قریش و اشرفهم وشعراهم وكتب فيهم اسم
 ابي دهب ثم دعا بهم ففرق الصلوات الجزيلة فلما قبض ابو دهب صلته ووقام
 ينصرف دعا به معاوية فرجع اليه فقال له يا ابا دهب مالي رأيت يزيد
 ساخطاً عليك في قواريض تأتبه عنك وشعر لا تزال تنطق به وانفذته الى
 اخصامنا وموالينا فطفق ابو دهب يمتدر ويحلف انه مكذوب عليه فقال
 له معاوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك عندنا فهل تأملت قال لا . قال
 فأى بنت عمك احب اليك قال فلانة قال زوجتكها واصدقتها التي دينار
 واصرت لك بألف دينار اخرى . فلما قبضها قال : ان رأى امير المؤمنين
 ان ينفو لي عما مضى فان نطقت بيت في معنى ما سبق منى فقد ابحت به
 دمي وفلانة التي زوجتها طالق البتة فسر معاوية بذلك وضمن له رضى
 يزيد عنه ووعدته بادرار ما وصله به في كل سنة وانصرف الى دمشق . قالوا
 ولم يحج معاوية في تلك السنة الا لاجل ذلك

(المنار) في القصة فوائد لمن يتأمل ويستفيد (منها) حرية العرب
وتساؤلهم في المشق وغيره مع اولادهم وغير اولادهم وفي لوازمه
ما لم يتفكر المرض وتلمس العفة وتبذل الصيانة (على ان العشق والعفة
لا ينفكان في قرن كما سنبينه) الم تر الى معاوية كيف اجاب يزيد حين قال
له ان ابا دهبيل يقول في ابنتك

وهي زهراء مثل لؤلؤة الفؤاد اص ميزت من جوهر مكنون
بقوله : لقد صدق يا بني انها كذلك ثم لما قال له انه قال « ثم خاصرتها »
البيت قال لقد كذب . الم تر انه لم يعاتب ابنته ولم ينصحها لانه يعلم ان
العشق طور من اطوار النفس يقري به العذل والتشريب ، ولا ينجم فيه
الوعظ والتأديب ، الم تر انه قال لابن دهبيل « اما من جهتي فلا خوف
عليك لاني اعلم صيانة ابنتي نفسها واعرف ان فتيان الشعراء يتركون ان
يقولوا النسب » الخ

(ومنها) الطريقة المثلى في تربية الفتيان والفتيات في طور العشق
والحب . اذا علم الجاهل الاخرق ان ولده عشق وساءه ذلك وخشي مغيبه
يبادر الى اطفاء لوعته باللوم والتعنيف ، والعذل والتوبيخ ، وقم المحبوب ،
وانتحال المثالب والعيوب ، وما هذا اللوم الا عين الاعراء ، وما ذلك الا اطفاء
الا اضرام واذكاء ،

كالذي طأطأ الشهاب ليطفي وهو أدنى له الى التضريم
والعالم الحكيم يبادر الى قطع الصلات ، وابطال المعاملات ، بجني العمل ،
ولطائف الحيل ، كما فعل معاوية في اخراج أبي دهبيل من الشام أولاً ثم في
تزيوجه واكماله بحيث أجهأ الى ان يعطى العهد من نفسه على ترك التشيب

بماتكة ويؤكد ذلك بإبانة زوجه وإباحة دمه من غير أن تعلم عاتكة بذلك (ومنها) الفرق بن حلم معاويه وسفه يزيد وميله الى الظلم وسفك الدم وكيف صده ابوه عن اغتيال ابى دهبيل بقوله ان في ذلك أثباتاً للتهمة واشتهاراً بالفضيحة ولم يأتيه من قبل الدين وحرمة الدماء المصومة .
والظاهر انه كان يعلم ان ما قاله له هو الذي يؤثر فيه

(ومنها) الحرية العامة . عند العرب يومئذ فقد كانوا يتغنون بشعر يشبب فيه بنت أمير المؤمنين من غير مؤاخذه ولا نكير ولا توقع مؤاخذه ولا خوف عقوبة

ومن وجوه الاعتبار الفرق بين عظمة الملوك وتجرهم اليوم وبساطتهم

يومئذ

﴿ العشق والعفة ﴾

العشق كما قلنا حليف العفة وقرينها وحب الفساد المقلوب لا يسمى عشقاً . وقد كان ابو دهبيل عفيفاً نزيها وعاتكة أعف وانزه . روى انه خرج يريد الغزو فلما كان يجيرون جاءت امرأة فاعطته كتاباً فقالت له اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها ثم ذهبت فدخلت قصر اثم خرجت اليه فقالت لو تبلفت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه أجر ان شاء الله فانه من غائب لها يعنيها امرء فبلغ معها القصر فلما دخلا اذا فيه جوار كثيرة فأغلقن عليه القصر واذا فيه امرأة وضيئة فراودته عن نفسه فأبى فأصرت به فحبس في بيت من القصر وكان يطعم ويسقى قليلا حتى ضعف وكاد يموت ثم دعتة الى نفسها فقال لا يكون ذلك ابداً ولكني اتزوجك